مطلبها في الساحل والأقضية الأربعة، وهذا ما عُدّ آنذاك انتصارًا لدعاة استقلال لبنان وعدم إلحاقه بسوريا. وفي السنة ١٩٣٦ أيضًا، وُقّع اتّفاق آخر بين اللبنانيّين والفرنسيّين ينصّ على ضمان حقوق الطوائف وهويّتها، ويوصي باستقلال لبنان. وأمام هذا الواقع الجديد، عدل الزعماء المسلمون عن التشديد على وجوب الانضمام إلى سوريا، بل أخذوا يطالبون بالتوزيع العادل السياسيّ والاقتصاديّ بين المسيحيّين والمسلمين. والسنوات القليلة التي سبقت إعلان الاستقلال في لبنان ١٩٤٣ شهدت صراعًا قام بين مؤيّدي الوجود الفرنسيّ وتدخّله في الكثير من الأمور، والمؤيّدين لميثاق وطني بين اللبنانيّين في إطار وطن مستقلّ، وما قضيّة المرسومين ٤٩ و٥٠ سوى حقبة معيّنة في تاريخ ذلك الصراع.

إنّ تاريخ لبنان، بقلم د. عبد المنعم شعيب، هو تاريخ سياسيّ لا يتطرّق إلى النواحي الاجتماعيّة والثقافيّة والدينيّة من حياة لبنان. وهو، بالإضافة إلى ذلك، لا يتحدّث عن السياسة إلاّ من خلال ما يرسمه الخارج، وكأنّ تاريخ لبنان السياسيّ هو صنيع الأجنبيّ ولا دخل للبنانيّ في رسمه، وكأن ليس هناك عناصر داخليّة لها دورها في التأثير على مجريات التاريخ.

س. د.

المسيحيّون والعروبة، مناقشة في المارونيّة السياسيّة والعروبة

تأليف رياض نجيب الريّس

منشورات رياض نجيب الريّس، لندن، الطبعة الثانية، ١٩٩٠

كتاب رياض نجيب الريّس، الصحفيّ والناشر المعروف، يتطرّق إلى موضوع هو غاية في الدقّة والحسّاسيّة: العلاقات بين المسيحيّة في العالم العربيّ والقوميّة العربيّة في ضوء التجربة اللبنانيّة. والواقع أنّ الكاتب ينطلق في بحثه من أمر هو في نظره بديهيّة من البديهيّات والمسلّمات التاريخيّة: إنّ الرابط السياسيّ والاجتماعيّ والإنسانيّ والثقافيّ الذي يربط بين مواطني الدول العربيّة وحكوماتها هو رابط القوميّة العربيّة. هذا الرابط هو المقياس والحقيقة والهدف الذي يصبو إليه كلّ مواطن عربيّ مخلص.

من هذا المنطلق، يتحوّل البحث، في العديد من صفحاته، إلى نقدٍ هجوميّ عنيف لما يسمّيه «المارونيّة السياسيّة اللبنانيّة» المرتبطة بالإيديولوجيا الصهيونيّة والداعية إلى وطن لبنانيّ يشكّل فيه المسيحيّون رأس الحربة ومركز الثقل ثقافيًا وسياسيًا. وفي الوقت نفسه، يدعو الكاتب الإسلام إلى أن يعيد النظر في علاقته بالسياسة، ولا سيّما ذلك الإسلام المتطرّف الذي لا همّ له إلاّ إقحام الدين الإسلاميّ بالسياسة.

فباسم العروبة، على المارونيّة السياسيّة أن تزول وتضمحلّ. ولبنان الذي كان أعجوبة على الصعيدين السياسيّ والاقتصاديّ، قبل بداية الحرب سنة ١٩٧٥، لن يعود إلى الوجود،

إذ إنّ الظروف تبدّلت والدول العربيّة لم تعد بحاجة إلى لبنان همزة وصل بين الشرق والغرب ولم تعد بحاجة إلى لبنان الحرّيّة السياسيّة والحرّيّة الاقتصاديّة.

والحلّ الذي يقترحه رياض نجيب الريّس هو أن يكتشف المسيحيّون اللبنانيّون حقيقة ما يربطهم بالقوميّة العربيّة، وقد كان البعض منهم في أساس نشأتها وتطوير إيديولوجيّتها. فكما أنّ الإسلام هو دين عربيّ، المسيحيّة هي كذلك دين عربيّ، على اعتبار أنّ للمسيحيّة كانت معروفة بين القبائل العربيّة قبل الإسلام. وما يربط المسيحيّة اليوم بالواقع العربيّ والإسلام هي بجمل قضايا أساسيّة كالديمقراطيّة والتحرّر والعدالة الاجتماعيّة. إلاّ أنّ ما يقلق الأوساط المسيحيّة هو موقف الأصوليّة الإسلاميّة التي تهدّد مصيرهم وكذلك مصير الداعين إلى الديمقراطيّة والعدالة الاجتماعيّة. وموقف الأصوليّة الإسلاميّة هذا يكشف عن خلل في العلاقة بين الإسلام والقوميّة العربيّة، حيث إنّ الإسلام يستخدم القوميّة العربيّة كغطاء له، ممّا يحتّم ضرورة الفصل بين البعد الدينيّ والبعد السياسيّ في موضوع تسيير أمور الدولة. فالقوميّة العربيّة تحقّق ذاتها إن هي طرحت نفسها كبديل ديمقراطيّ علمانيّ، والإسلام مدعو إلى التجدّد والتأقلم مع مبادئ الحرّيّة والعلم والعقل. وهكذا فالقوميّة العربيّة هي مشروع سياسيّ مستقبليّ، وهي هويّة وطنيّة قوميّة، في حين أنّ الإسلام هو دين فقط. وإذا كانت المارونيّة السياسيّة هي دعوة إلى الانعزال وكانت الأصوليّة الإسلاميّة دعوة إلى سيطرة الدين على الأبعاد السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، فإنّ الكنيسة الأرثوذكسيّة عرفت، ككنيسة عربيّة، أن تحافظ على استقلاليّتها وعلى ارتباطها بالقوميّة العربيّة كمشروع حضاريّ.

ويقول الكاتب في ختام كتابه: «إنّ القوميّة العربيّة هي فعل إيمان، وهي، من هذا المنطلق، بحاجة إلى كثير من الأعاجيب». «والأعجوبة الأولى تكون في أن تصبح العلاقات بين سورية ولبنان علاقات طبيعيّة، بما يتوافق وروح القوميّة العربيّة ومستلزماتها».

كتاب رياض نجيب الريّس ليس حديثًا في مضمونه، إذ إنّ الأفكار التي يطرحها هي متداولة منذ زمن في الأندية الثقافيّة العربيّة. إلاّ أنّ الكتاب، بتوقيت صدوره، ومن لندن، هو كناية عن إعلان إيديولوجيّ أو على الأقلّ يستند إلى الكثير من الأفكار المسبقة والمسلّمات الثابتة، التي هي بحاجة إلى مناقشة في معنى القوميّة اليوم؟ وما علاقتها بالدولة؟ وما هو أساس الدولة وما هي المبادئ التي تقوم عليها؟ وما هو المجتمع العربيّ؟ وهل هناك مجتمع أم مجتمعات؟ وما هي الروابط التي هي في أساس المجتمع وتكوينه؟ أسئلة متعدّدة تشير إلى أنّ باب النقاش ما زال مفتوحًا.

س. د.